

مقامات بديع الزمان الهمذاني

بديع الزمان الهمذاني


مقامات
بديع الزمان الهمذاني
بديع الزمان الهمذاني



PJ7696. H37 M83 2012
حارث بن حلزة، ت. حو. 573.
معلقة الحارث بن حلزة/ حررها ووضع حواشيها: محمد علي الحسني. ط. 1.
أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، 2012.
ص. : سم. (سلسلة ديوان العرب. المعلقات)
1. المعلقات شرح. 2. الشعر العربي العصر الجاهلي. أ. حسني، محمد علي.
ب. العنوان ج. السلسلة.
ت د م ك 978-9948-17-092-1

أشرف على التحرير والإخراج:
الدكتور أنس أبو هلال
خطوط:
الفنان التشكيلي الخطاط محمد مندي

أشرف على التحرير والإخراج:
الدكتور أنس أبو هلال
خطوط:
الفنان التشكيلي الخطاط محمد مندي





الطبعة الأولى 1433هـ 2012م

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380
publication@adach.ae
www.adach.ae



مقامات
بديع الزمان الهمذاني

المقدمة

هذه مقامات بديع الزمان الهمذاني؛ وهو أبو الفضل أحمد بن الحسين، نشأ في أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة استوطنت همذان، وإليها نسب، وتنقل بين أصفهان والري وجرجان وسجستان ونيسابور، أما وفاته فكانت في مدينة هيرات سنة (395 هـ). عُرف بديع الزمان بكثرة إبداعاته، فكان أحد أهم كتاب النثر في العصر العباسي، ومن هنا جاء لقبه؛ فقد ارتبطت شهرته بابتداعه الفن القصصي العربي، المعروف بفن المقامات. كتب ما يزيد عن خمسين مقامة؛ فكان صاحب السبق في إرساء قواعد هذا الفن النثري وتأصيله، حتى باتت مقاماته أنموذجاً احتذاه عدد من الكتاب، فنسجوا على منواله، ولعل أشهرهم أبو القاسم الحريري. وقد ترك الهمذاني فضلاً عن المقامات:

مجموعة رسائل تشتمل على أكثر من (238) رسالة، أغلبها في الإخوانيات.

ديوان شعر.

أما المقامات فهي أشهر مؤلفاته؛ وهي مجموعة حكايات قصيرة متفاوتة الحجم، جَمَعت بين النثر والشعر، تنم على موهبة لغوية فذة، وبراعة فائقة في توظيف المحسنات البديعية. وبطل هذه المقامات شخصية وهمية تدعى أبا الفتح الإسكندري، احترف الكُدية (التسول)، وتميز بفصاحته وقدرته على نظم الشعر، وعُرف بخداعه وحسن تخلصه من المآزق، واحتياله على الآخرين، فضلاً عن أنه شخصية فكهة مرحة، تتسم بالذكاء وخفة الظل، ومحبةٌ للمغامرة وارتياد المجهول.

يروي الهمذاني مقاماته على لسان عيسى بن هشام؛ وهو شخصية وهمية أخرى تتابع حركات البطل وسكناته، وتسرد كل أعماله وخدعه ومغامراته، فتغدو مشاركةً في صناعة الأحداث، وهذا مما يظهر أن الراوي والبطل كليهما يعيشان ظروفاً اجتماعية متشابهة، وينتميان إلى فئةٍ اجتماعية واحدة، تحمل المقامات همومها ومعاناتها، وتعبر عن رؤيتها للمجتمع وقيمه السائدة؛ فقد كان من أسباب نشأة فن المقامة انتشار (الكدية) في القرن الرابع الهجري، ولاسيما في هذه المنطقة من بلاد

فارس حيث نشأ الهمذاني. وأصحاب الكدية قوم يتجولون في البلاد، فيتكسبون عن طريق الأدب حيناً، والاحتيال حيناً آخر، ومن هنا فإن المقامات تصوّر جانباً من الحياة الاجتماعية في هذا القرن.

يتضمن نسيج مقامات الهمذاني عدداً من الأنواع الأدبية؛ كالخطب والمواعظ والشعر والألغاز والأخبار، كما تنطوي على ضروب من الثقافة؛ إذ عَمَدَ في بعض المقامات إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والاقتباس من الشعر القديم، ويزودنا الهمذاني في بعض مقاماته بمعلومات ذات صلة بتاريخ النقد والأدب، كما في مقامته (الجاحظية) و(القريضية)، ويسرد علينا أخباراً عن بعض الشعراء؛ كما في مقامته (الغيلانية) و(البِشرية).

المقامَةُ الكوفيَّة

حدَّثنا عيسى بن هشام؛ قال: كنت وأنا فَتِيُّ السِّنِّ أشدُّ رحلِي لِكُلِّ عمايةٍ[1]، وأركض طِرْفي إلى كل غَوايةٍ، حتى شربتُ من العمر سائغَهُ، ولبستُ من الدَّهرِ سابغهُ[2]، فلما انصاحَ النَّهارُ بجانبِ ليلي[3]، وجمعتُ للمعادِ ذيلي[4]، وَطئتُ ظَهرَ المَرُوضَةِ[5]؛ لأداءِ المفروضة. وصحبني في الطريقِ رفيقٌ لم أنكرهُ من سوءٍ[6]، فلمَّا تجالينا[7]، وخبَّرْنا بحالينا، سَفَرَت القِصَّةُ[8] عن أصلٍ كوفي، ومذهبٍ صوفي.

وسرنا.. فلما أحلَّتنا الكوفة، مِلنا إلى دارِهِ ودخلناها، وقد بَقَلَ وَجهُ النَّهار[9] واخضرَّ جانبُهُ، ولمَّا اغتمضَ جَفنُ اللَّيلِ وطرَّ شاربُهُ[10]، قُرِعَ علينا البابُ، فقلنا: من القارعُ المُنتابُ[11]؟ فقال: وفدُ اللَّيلِ وبريدُهُ[12]، وفَلُّ الجوعِ وطريدُهُ[13]، وحُرٌّ قادَه الضُّرُّ، والزمنُ المُرُّ، وضيفٌ وطْؤُهُ خفيفٌ[14]، وضالته رغيفٌ، وجارٌ يستعدي على الجوعِ[15]، والجيبِ المرقوعِ. وغريبٌ أُوقدتِ النَّارُ على

سَفَرِهِ[16]، ونبح العوَّاء على أثرِهِ، ونُبذت خلفَهُ الحُصَيَّاتُ[17]، وكُنستْ بعدهُ العَرَصاتُ؛[18] فَنِضْوُهُ طليحٌ[19]، وعيشُهُ تبريحٌ[20]، ومن دونِ فَرْخيهِ مهامِهُ فيحٌ[21].

قال عيسى بن هشام: فقبضتُ من كيسي قبضةَ الليث، وبعثتها إليه وقُلتُ: زِدنا سؤالاً، نزدك نوالاً. فقال: ما عُرضَ عَرْفُ العودِ[22]، على أحرَّ من نارِ الجودِ، ولا لُقيَ وفد البرّ، بأحسنِ من يريد الشُّكر، ومن ملك الفضل فَلْيُؤاسِ؛ فلن يذهب العُرفُ بين الله والناس. وأما أنت فحقَّقَ الله آمالك، وجعل اليد العليا لك.

قال عيسى بن هشام: ففتحنا له البابَ وقلنا: ادخل، فإذا هُو والله شيخُنا أبو الفتحِ الإسكندريُّ، فقلت: يا أبا الفتحِ، شَدَّما بلغت منك الخصاصة[23]، وهذا الزيُّ خاصة! فتبسَّم، وأنشأ يقول:

لا يغُرَّنَّك الـــــذي أنــا فيـــه مــن الطّلــبْ

أنـــا في ثَروَة تُشَقْ قُ لها بُردَةُ الطَّـــــربْ

أنا لوْ شئت لاتخذْ تُ سُقــوفاً من الذَّهبْ

المقامَة الأصفهانيَّة

حدثنا عيسى بنِ هشام؛ قال: كنتُ بِأصفَهَان[24] أعتزِمُ المسيرَ إلى الرَّيِّ، فَحللتُها حلولَ الفَيِّ[25]؛ أتوقعُ القافِلةَ كلَّ لمحةٍ، وأترقبُ الرَّاحلةَ كل صَبْحةٍ، فلما حُمَّ ما توقعتُهُ[26]، نُودِيَ للصلاةِ نداءً سمعتُهُ، وتعين فرضُ الإجابةِ، فانسَلَلتُ من بينِ الصَّحابةِ، أغتنمُ الجماعَةَ أدركُها، وأخشى فوتَ القافلةِ أتركُها، لكني استعنتُ ببركاتِ الصلاةِ، على وَعْثاءِ الفلاةِ. فصرتُ إلى أوَّلِ الصفوفِ، ومَثَلتُ للوقوفِ، وتقدَّم الإمامُ إلى المحرابِ، فقرأ فاتحةَ الكتابِ، بقراءة حمزة؛ مَدَّةً وهمزة[27]، وبيَ الغمُّ

المقيمُ المقعدُ في فوتِ القافلةِ، والبُعدِ عن الراحلةِ. وأتْبَعَ الفاتحة الواقعة، وأنا أتصلى نارَ الصَّبرِ وأتصَلَّب، وأتقلّى على جمرِ الغيظِ وأتقلّب، وليسَ إلّا السُّكوتُ والصَّبرُ، أوِ الكَلامُ والقبرُ؛ لمِا عَرفتُ من خشُونةِ القوم في ذلكَ المَقام؛ أنْ لو قُطِعَت الصَّلاةُ دونَ السَّلام، فوقفتُ بِقَدَم الضَّرورةِ، على تلك الصُّورةِ، إلى انتَهاءِ السورةِ، وَقد قنطتُ من القافلةِ، وأيستُ من الَرَّحل والراحلَةِ.

ثم حنَى قوسَهُ للرُّكوع، بنوع من الخشوع، وضربٍ من الخُضوع، لم أعهدهُ من قبلُ، ثم رفَعَ رأسهُ ويدَهُ، وقال: سمِعَ اللهُ لمن حمِدَهُ. وقامَ، حتى ما شككتُ أنهُ قد نامَ! ثمَّ ضربَ بيمينِهِ، وأكبَّ لجبينِهِ، ثم انكبَّ لوجهِهِ، ورفعتُ رأسي أنتهز فرصةً، فلم أرَ بين الصُّفوفِ فُرْجَةً، فعدتُ إلى السجودِ، حتى كبَّرَ للقُعودِ، وقامَ إلى الركعةِ الثانيةِ، فقَرأ الفاتحةَ والقارعةَ قراءةً استوفى بها عُمْرَ الساعةِ، واستنزَفَ أرواحَ الجماعةِ. فلما فرغَ من ركعتيهِ، وأقبَلَ على التَّشَهُّدِ بِلحيَيهِ، ومال إلى التحيةِ بأخدعَيهِ[28]، وقلتُ: قد سَهَّلَ اللهُ المخرجَ، وَقَرَّبَ الفرجَ.. قامَ رجلٌ وقال: من كان منكم يحبُّ الصحابَةَ والجماعَةَ، فليُعرني سَمْعهُ ساعةً.

قال عيسى بن هشام: فلزمتُ أرضي؛ صيانةً لعِرْضِي. فقال: حقيقٌ عليَّ ألّا أقولَ غيرَ الحقِّ، ولا أشهَدَ إلا بالصِّدقِ، قد جئتكم ببشارةٍ من نَبيكُم، لكني لا أؤدِّيها حتى يُطهِّرَ اللهُ هذا المسجدَ من كل نذلٍ يجحدُ نبوءَتَهُ.

قال عيسى بن هشام: فربطني بالقيودِ، وشدَّني بالحبالِ السُّود[29]، ثم قال: رأيتهُ في المنام، كالشمسِ تحتَ الغمام، والبَدرِ ليلَ التَّمام، يسيرُ والنُّجومُ تتبعهُ، ويسحبُ الذيلَ والملائكةُ ترفعهُ، ثم علَّمني دعاءً أوصاني أن أُعلم ذلك أمَتهُ، فكتبتهُ على هذه الأوراق بخَلُوقٍ ومسكٍ، وزعفران وَسُكٍّ[30].فمن استوهبه مني وهبته، ومن رد عليَّ ثمن القرطاس أخذته[31].

قال عيسى بن هشام: فلقد انثالتْ عليهِ الدراهمُ حتى حَيَّرتهُ، وَخَرَجَ فتبعتهُ متعجباً من حذقِهِ بزَرْقِهِ[32]، وتمحُّلِ رزقِهِ، وهممتُ بمسألتِهِ عن حالِهِ فأمسكتُ، وبمكالمتِهِ فَسَكَتُّ، وتأملتُ فصاحتَهُ في وقاحتِهِ، وملاحتَهُ في استماحتِهِ، وربطَهُ الناسَ بحيلتِهِ، وأخْذَهُ المالَ بوسيلتِهِ، ونظرتُ فإذا هو أبو الفتح الإسكندري، فقلت: كيف اهتديت إلى هذه الحيلة؟ فتبسم وأنشأ يقول:

النَّـــاسُ حُمْــرٌ فجوِّزْ وابْـــرُزْ عليهـــــم وَبَـــرِّزْ

حتَّى إذا نِلـتَ مِنهُم مــــــا تشتهيــــهِ فَفَــرْوِزْ[33]

المقامَةُ البَغداذيّة

حدَّثنا عيسى بن هشامٍ قال: اشتهيتُ الأزاذَ[34]، وأنا ببغداذَ. وليس معي عَقدٌ على نقدٍ[35]. فخرجتُ أنتهزُ محالَّهُ حتى أحلَّني الكرخ[36]، فإذا أنا بسواديٍّ يسوق بالجهد حماره، ويطرِّف بالعقد إزاره[37]، فقلت: ظفرنا والله بصيد، وحياكَ الله أبا زيدٍ، من أين أقبلتَ؟ وأينَ نزلتَ؟ ومتى وافيتَ؟ وهلمَّ إلى البيتِ. فقال السَّوادي: لستُ بأبي زيدٍ، ولكني أبو عبيدٍ. فقلتُ: نعم، لعن الله الشيطانَ، وأبعدَ النِّسيانَ، أنسانيكَ طُولُ العهدِ، واتصالُ البعدِ، فكيف حالُ أبيكَ؛ أشابٌّ كعهدي، أم شابَ بعدي؟ فقال: قد نبت الربيع على دِمْنتِه[38]، وأرجو أن يصيِّره الله إلى جنته. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. ومددتُ يدَ البِدارِ، إلى الصِّدارِ[39]؛ أريد تمزيقه، فقبض السواديُّ على خصري بجُمْعه[40]، وقال: نشدتك اللهَ لا مزَّقتَهُ!

فقلت: هلمَّ إلى البيت نُصِبْ غَدَاءً، أو إلى السوقِ نشترِ شواءً، والسوق أقرب، وطعامه أطيب. فاستفزَّته حُمَةُ القَرَم، وعطفته عاطفة اللَّقَم[41]، وطمع، ولم يعلم أنه وقع! ثم أتينا شَوَّاء يتقاطر شِواؤه عرقًا، وتتسايَل جُوذَاباتُهُ[42] مرقاً، فقلت: افرزْ لأبي زيدٍ من هذا الشواءِ، ثم زِنْ له من تلك الحلواءِ، واختر له من تلك الأطباقِ، وانْضِدْ عليها أوراق الرُّقاق، ورشَّ عليها شيئاً من ماء السُّمَّاق؛ ليأكله أبو زيدٍ هنيئاً. فانحنى الشَّواءُ بساطورِهِ، على زبدة تنُّورِهِ، فجعلها كالكُحْل سحقاً، وكالطِّحن دقًّا، ثم جلسَ وجلَسْتُ، ولا يَئِسَ ولا يَئِسْتُ، حتى استوفينا.

وقلت لصاحب الحلوى: زِنْ لأبي زيدٍ من اللُّوزينَج رَطْلَين؛ فهو أجرى في الحلوق، وأمضى في العروق[43]، وليكن ليْليَّ العُمْر، يوميَّ النَّشر[44]، رقيقِ القشر، كثيف الحشو، لؤلؤيَّ الدهن، كوكبيَّ اللون، يذوب كالصمغ، قبل المضغ؛ ليأكله أبو زيدٍ هنيئاً. قال: فوَزَنَه، ثم قعد وقعدتُ، وجرَّد وجرَّدْتُ، حتى استوفيناه.

ثُمَّ قلت: يا أبا زيد، ما أحوجنا إلى ماء يُشَعْشَعُ بالثلج! ليقمع هذه الصَّارَّة، ويفثأَ هذه اللُّقَم الحارَّة[45]، اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقَّاءٍ، يأتيك بشربةِ ماءٍ.

ثُمَّ خرجْتُ وجلَسْتُ بحيث أراه ولا يراني؛ أنظرُ ما يصنع، فلما أبطأْتُ عليه قام السواديُّ إلى حماره، فاعتلق الشَّوَّاءُ بإزاره، وقال: أين ثمنُ ما أكلْتَ؟ فقال أبو زيد: أكلتُه ضيفاً! فَلَكَمَهُ لكمةً، وثنَّى عليه بلطمة، ثم قال الشواء: هاكَ، ومتى دعوناك؟ زِنْ يا أخا القِحَة عشرين. فجعل السوادي

يبكي ويحل عُقَدَهُ بأسنانه، ويقول: كم قلت لذاك القَرِيْد: أنا أبو عُبَيد، وهو يقول: أنت أبو زيد! فأنشدتُ:

أَعْمِلْ لِرزقِكَ كُلَّ آلهْ لا تقعُدَنَّ بكلِّ حالَهْ

وانهـضْ بـكلِّ عظيمةٍ فالمرءُ يعْجِزُ لا مَحَالَهْ

المقامَةُ القِرْديَّة

حدثنا عيسى بن هشام؛ قال: بَيْنَا أنا بمدينةِ السَّلام[46]، قافلاً من البلد الحرام، أميس ميس الرِّجْلَةِ[47]، على شاطئ الدِّجلةِ، أتأمل تلك الطَّرائِفَ، وأتقصَّى تلك الزَّخارف[48]، إذ انتهيتُ إلى حَلْقَةِ رجالٍ مزدحمين يلوي الطَّربُ أعناقَهُم، ويشقُّ الضَّحِكُ أشداقهم، فساقني الحرص إلى ما ساقَهم، حتى وقفت بمسمعِ صوتِ رجلٍ دون مرأى وجهه؛ لشدة الهجمة، وفرط الزحمة[49]، فإذا هو قرَّادٌ يُرقِصُ قِرْدَه، ويُضحِك من عنده. فرقصت رَقْصَ المُحَرَّج[50]، وسرت سيرَ الأعرج، فوق رقاب الناس، يَلْفِظُني عاتقُ هذا لِسُرَّةِ ذاك[51]، حتى افترشت لحْية رجلين، وقعدت بعد الأين[52]، وقد أشرقني الخجلُ بريقِه[53]، وأرهقني المكان بضيقِه.

فلمـــا فــرغ القــرَّادُ من شُغْلِهِ، وانتَفَضَ المجلسُ عن أهله، قمــت وقــد كســـاني الدَّهَـشُ حلَّتَه[54]، ووقفت لأرى صورته، فإذا هو والله أبو الفتح الإسكندريّ، فقلت: ما هذه الدَّناءةُ، ويْحَك؟! فأنشأ يقول:

الذَّنْبُ للأيامِ لا لــي فاعْتَبْ على صَرْفِ الليالي

بالحمقِ أدركتُ المُنى ورفـــلتُ في حُللِ الجــمالِ

المقامةُ المَوْصليَّة

حدثنا عيسى بن هشام؛ قال: لمَّا قفلنا من الموصِلِ، وهمَمنا بالمنزلِ، ومُلِكَت علينا القافلة، وأُخِذَ منا الرَّحلُ والرَّاحلة، جرت بي الحُشَاشَة[55] إلى بعض قُرَاها، ومعي الإسكندري أبو الفتح، فقلت: أين نحن من الحِيلة[56]؟ فقال: يكفي الله. ودُفِعْنا إلى دارٍ قد ماتَ صاحبُها، وقامت نوادبُها[57]، واحتفلَتْ بقوم قد كوى الجزعُ قلوبَهم، وشقَّت الفجيعةُ جيوبَهم[58]، ونساءٍ قد نشرْن شعورَهُنَّ، يضربن صدورَهُنَّ، وجَدَدْنَ عقودَهُنَّ[59]، يلطِمنَ خدودهُنَّ. فقال الإسكندري: لنا في هذا السَّواد نخلةٌ[60]، وفي هذا القطيع سخلةٌ. ودخل الدارِ ينظرُ إلى الميِّت وقد شُدَّت عصابتهُ ليُنقلَ[61]، وسُخِّنَ ماؤُهُ ليُغَسَّل، وهُيِّئ تابوتُهُ ليحملَ، وخيْطَت أثوابه ليكفَّن، وحُفِرت حفرَته ليدفن.

فلما رآه الإسكندريُّ أَخَذَ حَلْقه، فَجسَّ عِرْقَه[62]، فقال: يا قوم، اتقوا الله لا تدفنوه؛ فهو حيٌّ، وإنَّما عرتهُ بهتةٌ، وعَلَتْهُ سكتةٌ، وأنا أُسلِّمه مفتوحَ العينينِ، بعد يومينِ. فقالوا: من أين لك ذلك؟ فقال: إنَّ الرَّجل إذا مات برُدَ إبطهُ، وهذا الرجل قد لمستُه، فعلمت أنه حيٌّ. فجعلوا أيديهُم في إبطه، فقالوا: الأمر على ما ذَكَر، فافعلوا كما أمر.

وقام الإسكندريُّ إلى الميت، فنزع ثيابه ثم شدَّ له العَمائم، وعلَّق عليه التمائم[63]، وألعقه الزَّيت، وأخلى له البيتَ، وقال: دعوهُ، ولا تردعوهُ، وإن سمعتم له أنيناً فلا تجيبوه[64]. وخرجَ من عنده وقد شاعَ الخبرُ وانتشرَ، بأن الميتَ قد نُشِرَ[65]، وأخذتنا المبارُّ من كلِّ دارٍ[66]، وانثالتْ علينا الهدايا من كل جارٍ، حتى ورم كيسُنا فضةً وتِبْراً[67]، وامتلأ رَحْلُنا أقِطاً وتمراً، وجهدنا أن ننتهزَ فرصةً في الهربِ فلم نجدها، حتى حلَّ الأجلُ المضروبُ، واستُنجزَ الوعدُ المكذوبُ[68]، فقال الإسكندريُّ: هل سمعتُم لهذا العليل رِكْزاً، أو رأيتم منه رمزاً؟ فقالوا: لا. فقال: إن لم يكنْ صَوَّت مُذ فارقتُهُ، فلم يجئ

بعدُ وقتَهُ، دعوهُ إلى غدٍ؛ فإنكم إذا سمعتم صوتهُ، أمِنْتَم موته، ثم عرِّفوني لأحتال في علاجه، وإصلاحِ ما فسد من مِزاجِهِ. فقالوا: لا تؤخر ذلك عن غدٍ. قال: لا.

فلما ابتسم ثغرُ الصُّبح، وانتشر جناح الضَّوِّ، في أفقِ الجوِّ، جاءه الرجال أفواجاً، والنساءُ أزواجاً، وقالوا: نحبُّ أن تَشْفي العَليلَ، وتدع القالَ والقيلَ. فقال الإسكندريُّ: قوموا بنا إليه. ثم حَدَرَ التمائِمَ عن يَدِهِ[69]، وحلَّ العمائِمَ عن جَسَدِهِ، وقال: أنيموهُ على وجهه. فأُنيمَ. ثم قال: أقيموهُ على رجليهِ.. فَأُقيمَ. ثم قال: خَلُّوا عن يديه. فَسَقَطَ راسيًا[70] وطنَّ الإسكندريُّ بفيهِ[71]، وقال: هو ميتٌ كيف أحييهِ؟ فأخَذهُ الجُفُّ[72]، وملكتهُ الأكفُّ، وصار إذا رُفعت عنهُ يدٌ وقعت عليهِ أخرى.

ثم تشاغلوا بتجهيزِ الميت فانسللنا هاربين، حتى أتينا قريةً على شفيرِ وادٍ؛ السَّيْلُ يطرِّفُها، والماءُ يتحيَّفُها[73]، وأهلُها مغتمُّونَ لا يملِكُهُم غُمْضُ الليل[74]، من خَشْيَةِ السيل، فقال الإسكندريُّ: يا قومُ، أنا أكفيكُم هذا الماءَ ومعرَّته[75]، وأردُّ عن هذه القرية مضرَّته، فأطيعوني، ولا تُبْرِموا أمراً دُوني. فقالوا: وما أمرُك؟ فقال: اذبحوا في مَجْرَى هذا الماء بقرة صفراءَ، وأتوني بجارية عَذْراءَ، وصلُّوا خلفي ركعتين يَثْنِ الله عنكم عنان هذا الماء، إلى هذه الصحراء، فإن لم ينثنِ الماء فدمي عليكم حلال. قالوا: نفعل ذلك. فذبحوا البقرة، وزوَّجوه الجارية، وقام إلى الركعتين يُصلِّيهما وقال: يا قومُ احفظوا أنفُسَكُم؛ لا يقع منكم في القيام كبْوٌ[76]، أو في الركوع هفوٌ، أو في السجود سهوٌ، أو في القعود لغوٌ؛ فمتى سَهَوْنا خرج أملُنا عاطلاً، وذهب عمَلُنا باطلاً، واصبروا على الركعتين فمسافَتُهما طويلةٌ.

وقام للركعة الأولى فانتصب انتصاب الجِذْع ، حتى شَكَوا وَجَعَ الضِّلْع، وسجدَ، حتى ظنوا أنَّه قد هجَد[77]، ولم يَشْجُعوا لرفعِ الرؤوسِ، حتى كبَّر للجلوسِ، ثم عاد إلى السجدةِ الثانيةِ، وأومأ إليَّ فأخذنا الوادِي[78]، وترَكْنا القومَ ساجدينَ لا نعلم ما صنع الدهر بهم! فأنشأ أبو الفتح يقول:

لا يُـبعــــدِ اللهُ مِثــــلي وأيـــــنَ مِـــــثلِيَ أَيــــــنا

للهِ غفـــــــــلةُ قـــــــومٍ غِنـــــمتُها بـــــالهُـــوينى

اكتـــــلتُ خـــيراً عليهمْ وكِلــــــتُ زورًا ومَـــــــــيْنَا

المقامَةُ الحِرزِيَّة

حدثنا عيسى بن هشام؛ قال: لما بلغت بي الغربةُ بابَ الأبوابِ[79]، ورضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ، ودونه من البحر وثَّابٌ بغاربه[80]، ومن السُّفُن عسَّافٌ براكبه[81]، استخرت الله في القفول، وقعدت من الفُلْك، بمثابة الهُلْك. ولما مَلَكنا البحر، وجنَّ علينا الليل، غشيتنا سحابةٌ تمدُّ من الأمطار حِبالاً، وتحوذُ من الغيم جِبالاً[82]، بريحٍ ترسل الأمواجَ أزواجاً، والأمطارَ أفواجاً[83]، وبقينا في يد الحَيْن[84]، بين البحرين، لا نملكُ عدَّةً غير الدعاء، ولا حيلةً إلا البكاء، ولا عصمةً غير الرجاء.

وطويناها ليلةً نابغيَّةً[85]، وأصبحنا نتباكى ونتشاكى، وفينا رجلٌ لا يخضلُّ جفنُه[86]، ولا تبتلُّ عينُه، رَخِيُّ الصدر منشرحه، نشيط القلب فَرِحُه، فَعجِبْنا والله كلَّ العجبِ، ما الذي أمَّنك من العطب؟ فقال: حرزٌ لا يغرق صاحبه[87]، ولو شئتُ أن أمنح كلًّا منكم حرزاً لفعلت. فكلٌّ رغب إليه، وألحَّ في المسألة عليه، فقال: لن أفعل ذلك حتى يعطيني كلُّ واحدٍ منكم ديناراً الآن، ويعدني ديناراً إذا سَلِم.

قال عيسى بن هشام: فنقدناه ما طلب، ووعدناه ما خطب، وآبت يدُه إلى جيبه فأخرج قطعة ديباجٍ، فيها حُقَّةُ عاجٍ[88]، قد ضُمِّنَ صدرُها رِقَاعاً، وَحَذَفَ كلَّ واحدٍ منا بواحدةٍ منها[89]. فلمَّا سلمت السفينةُ، وأحلَّتنا المدينةُ، اقتضى النَّاسَ ما وعدوه[90]، فنقدوه، وانتهى الأمر إليَّ فقال: دعوه. فقلت: لك ذلك، بعد أن تعلمني سرَّ حالك، قال: أنا من بلاد الإسكندرية. فقلت: كيف نَصَرك الصبر وخذلنا؟ فأنشأ يقول:

وَيكَ لَوْلا الصَّبرُ ما كُنْـتُ مَلأتُ الكيسَ تِبْــرا

لن يَنالَ المجدَ من ضاقَ بمـــا يغشاهُ صـدرا

ثم ما أعقَبَني السَّـــاعة ما أُعطيتُ ضـــرَّا

بل بــه أشتـــدُّ أزرا وبـــه أجْبُرُ كســـرا

ولَوَ أني اليومَ في الغرقى لمـــا كُلِّفتُ عذرا

المقامَةُ المَجَاعيَّة

حدثنا عيسى بن هشام؛ قال: كنت ببغداد عام مجاعةٍ، فملت إلى جماعةٍ. قد ضمَّهُم سِمطُ الثريا[91]، أطلب منهم شيًّا، وفيهم فتًى ذو لثغةٍ بلسانه، وفَلَجٍ بأسنانه[92]، فقال: ما خَطْبُكَ؟ قلتُ: حالان لا يفلح صاحِبُهُما: فقيرٌ كَدَّهُ الجوع، وغريبٌ لا يمكِنُهُ الرُّجوع. فقال الغلام: أيُّ الثلمتين تُقدِّم سدَّها[93]؟ قلت: الجوع؛ فقد بلغ مني مبلغاً. قال: فما تقول في رغيفٍ، على خوانٍ نظيفٍ[94]، وبقل قطيف، إلى خلٍّ ثقيفٍ، ولونٍ لطيفٍ[95]، إلى خردلٍ حرِّيفٍ، وشواءٍ صفيفٍ، إلى ملحٍ خفيفٍ، يقدمه إليك الآن من لا يَمْطُلك بوعد، ولا يعذِّبك بصبرٍ، ثم يُعلُّك[96] بعد ذلك بأقداحٍ ذهبيةٍ، من راحٍ عِنَبيَّةٍ؟! أذاك أحب إليك أم أوساطٌ محشوةٌ، وأكوابٌ مملوَّةٌ، وأنقالٌ معدَّدةٌ، وفُرُشٌ منضَّدةٌ، وأنوارٌ مجوَّدة[97]، ومُطربٌ مجيدٌ، له من الغزال عينٌ وجيدٌ؟! فإن لم تُرد هذا ولا ذاك، فما قولك في لحمٍ طريٍّ، وسمكٍ نهريٍّ، وباذنجانٍ مقلي، وراحٍ قُطْرُبُّلي[98]، وتفاحٍ جَنِيّ، ومضجعٍ وطيٍّ، على مكانٍ عليٍّ، حذاء نهرٍ جرار[99]، وحوضٍ ثرثارٍ، وجنة ذاتِ أنهارٍ؟!

قال عيسى بن هشام: فقلت: أنا عبد الثلاثة[100]! فقال الغلام: وأنا خادمها لو كانت! فقلت: لا حيَّاك الله، أحييت شهواتٍ قد كان اليأسُ أماتها، ثم قبضت لهاتَها[101]، فمن أي الخرابات أنت؟ فقال:

أنا من ذوي الإسكندريَّهْ مـــن نَبْعَةٍ فيهـــــــم زكيَّه

سَخِفَ الـــزَّمانُ وأهـلُه فركبت من سَخَفي مطيَّهْ

المقامَةُ الأرمنيَّة

حدثنا عيسى بن هشام؛ قال: لما قفلنا من تجارة إرمينيَةَ، أهدتنا الفلاة إلى أطفالها[102]، وعثرنا بهم في أذيالها، وأناخونا بأرض نعامةٍ[103]، حتى استنظفوا حقائبَنا، وأراحوا ركائبَنا، وبقينا بياض اليوم، في أيدي القوم، قد نظمنا القِدُّ أحزاباً[104]، ورُبطت خيولنا اغتصاباً. حتى أردف الليلُ أذنابهُ[105]، ومدَّ النجم أطنابَه. ثم انتحوا عَجُزَ الفلاة[106] وأخذنا صدرها، وهلمَّ جرًّا، حتى طلع حُسْن الفجر من نقاب الحشمةِ، وانتُضي سيفُ الصُّبح من قراب الظُّلمة، فما طلعت شمسُ النَّهار، إلا على الأشعار والأبشار[107]، وما زلنا بالأهوال ندرأ حُجبَها، وبالفلوات نقطع نَجَبها[108]، حتى حللنا المَراغَة، وكلٌّ منَا انتظم إلى رفيقٍ، وأخذ في طريق.

وانضم إليَّ شابٌّ يعلوه صَغَارٌ، وتعلوه أطمارٌ[109]، يُكنى أبا الفتح الإسكندراني، وسرنا في طلب أبي جابر، فوجدناه يطلع من ذات لظى، تُسْجَر بالغضى[110]، فعمد الإسكندري إلى رجلٍ فاستماحه كفَّ ملحٍ، وقال للخباز: أعرني رأس التنور، فإني مقرور. ولما فَرَعَ سنامَه[111] جعل يحدث القوم بحاله، ويخبرهم باختلاله، وينشر الملح في التنور من تحت أذياله، ويوهمهم أن أذًى بثيابه[112]. فقال الخباز: ما لك- لا أبا لك- ؟ اجمع أذيالك؛ فقد أفسدت الخبز علينا. وقام إلى الرغفان فرماها، وجعل الإسكندري يلقطها، ويتأبّطها، فأعجبتني حيلته فيما فعل، وقال: اصبر عليَّ حتى أحتال على الأُدْمِ، فلا حيلة مع العُدْم[113].

وصار إلى رجلٍ قد صفف أوانيَ نظيفةً فيها ألوان الألبان، فسأله عن الأثمان، واستأذن في الذوق، فقال: افعل. فأدار في الآنية إصبعه، كأنه يطلب شيئاً ضيَّعه، ثم قال: معي ثمنه. وهل لك رغبةٌ في الحجامة؟ فقال: قبَّحك الله! أنت حجَّام؟ قال: نعم. فعمد لأعراضه يسُبُّها، وإلى الآنية يصبها، فقال الإسكندري: آثِرْني على الشيطان[114]! فقال: خذها، لا بورك لك فيها. فأخذها، وأوينا إلى خلوةٍ، وأكلناها بدَفْعةٍ، وسرنا حتى أتينا قريةً استطعمنا أهلَها، فبادر من بين الجماعة فتًى إلى منزله، فجاءنا بصَحْفَةٍ قد سدَّ اللبن أنفاسَها، حتى بلغَ راسَها، فجعلنا نتحساها، حتى استوفيناها.

وسألناهم الخبز فأبوا إلا بالثمن، فقال الإسكندري: ما لكم تجودون باللبن، وتمنعون الخبز إلا بالثمن؟ فقال الغلام: كان هذا اللبن في غضارةٍ[115]، فقد وقعت فيه فارةٌ، فنحن نتصدق به على السيَّارة.

فقال الإسكندريُّ: إنا لله! وأخذ الصحفة فكسرها، فصاح الغلام: واحرباهُ! وامحرُوباهُ! فاقشعرت منا الجلدة، وانقلبت علينا المعدة، ونفَضْنا ما كنا أكلناه، وقلت: هذا جزاء ما بالأمس فعلناه. وأنشأ أبو الفتح الإسكندريُّ يقول:

يا نَفـــــــــــسُ لا تَتَغَثَّيْ فالشَّهمُ لا يتغثَّى

من يصحَبِ الدَّهرَ يَأكُلْ فِيهِ سـميناً وغثَّا

فَالبَسْ لِدَهـــــر جَديدًا والبس لآخـر رَثَّا

المقامة النَّيْسابورية

حدثنا عيسى بن هشام، قال: كنت بنيسابورَ[116] يوم جمعةٍ فحضرتُ المفروضةَ، ولما قضيتها اجتازَ بي رجلٌ قد لبسَ دَنّيَّةً، وتحنَّك سُنِّيَّةً[117]، فقلت لمُصلٍّ بجنبي: من هذا؟ قال: هذا سوسٌ لا يقع إلا في صوف الأيتام ، وجرادٌ لا يسقُطُ إلا على الزَّرعِ الحرام، ولصٌّ لا يَنْقُبُ إلا خِزانةَ الأوقافِ،وكُرْديٌّ لا يغير إلّا على الضِّعاف، وذئبٌ لا يفترس عبادَ الله إلا بين الركوعِ والسجودِ، ومحارب لا ينهب مال الله إلا بين العُهودِ والشهود، وقد لبس دنيَّتَهُ، وخلع دينيَّتَهُ، وسوَّى طَيلسانه[118]، وحرَّف يدَه ولِسانه، وقصَّر سِبَالهُ، وأطال حِبَاله[119]، وأبدى شقاشِقَهُ، وغطى مخارِقَهُ[120]، وبيَّض لحيته، وسوَّد صحيفته، وأظهر ورعَه، وستر طمعَهُ.

قلت: لعن الله هذا، فمن أنت؟ قال: أنا رجلُ أُعرفُ بالإسكندريِّ. فقلت: سقى الله أرضاً أنبتت هذا الفضل، وأباً خلَّف هذا النَّسل. فأين تريد؟ قال: الكعبة. فقلت: بَخٍ بَخٍ! بأُكُلها ولمَّا تُطبخ[121]، ونحن إذاً رفاق. فقالِ: كيف ذلك وأنا مصعِّد وأنت مصوِّب[122]؟! قلت: فكيف تصعد إلى الكعبة؟ قال: أما

إنّي أريدُ كعبة المُحتاجِ، لا كعبة الحُجَّاجِ، ومَشْعَرَ الكرم، لا مَشْعَرَ الحَرَم، وبيت السَّبْي، لا الهَدْي[123]، وقِبلة الصِّلات، لا قبلة الصَّلاة، ومِنى الضّيف، لا منى الخَيْف[124]. قلت: وأين هذه المكارم؟! وأنشأ يقول:

بحيثُ الدُّين والمَلِكُ المؤَيَّدْ وخـــدُّ المكرُمات بــــه مُـــــوَرَّدْ

بأرضٍ تنبُتُ الآمالُ فيها لأنَّ سَحَابَها خَلَفُ بنُ أحـــمدْ

المقامة العِلمية

حدثنا عيسى بن هشام؛ قال: كنت في بعض مطارح الغربة مجتازًا، فإذا أنا برجلٍ يقولُ لآخر: بمَ أدْرَكْتَ العلمَ؟ وهوَ يجيبُهُ؛ قال: طلبتُهُ فوجدتُهُ بعيدَ المَرام، لا يُصطادُ بالسهام، ولا يُقسَمُ بالأزلام[125]، ولا يرى في المنام، ولا يُضْبَطُ باللِّجام، ولا يورث عن الأعمام، ولا يُستعار من الكرام، فتوسلت إليه بافتراش المَدَر[126]، واستناد الحَجر، وردِّ الضَّجر[127]، وركوب الخطر، وإدمانَ السَّهر، واصطحاب السَّفر، وكثرة النَّظر، وإعمال الفِكَر. فوجدته شيئاً لا يصلح إلا للغرسِ، ولا يُغْرسُ إلا في النَّفسِ، وصيدًا لا يقع إلا في النَّدر، ولا ينشبُ إلا في الصَّدر. وطائراً لا يخدَعُهُ إلا قنصُ اللَّفظ، ولا يعلَقُهُ إلا شركُ الحفظِ، فَحَملْتُه على الرُّوح، وَحَبسْتُهُ على العينِ، وأنفَقْت من العيش، وَخَزَنْتُ في القلبِ، وحرَّرْت بالدّرْسِ، واسترحت من النَّظَرِ إلى التحقيقِ، ومن التَّحقيقِ إلى التَّعليقِ، واستعنتُ في ذلك بالتَّوفيقِ.

فسمعتُ من الكلام ما فَتَقَ السَّمْعَ، وَوَصَلَ إلى القلْبِ، وتَغَلْغَلَ في الصَّدر، فقلت: يا فتى، ومن أين مطلعُ هذه الشمسَ؟ فجعل يقول:

لكِنَّ بالشَـــامِ ليْلي وبِالعِـــــــــــراقِ نَهــــــاري

المقامَةُ الوصيَّة

حدثنا عيسى بن هشام؛ قال: لمَّا جَهَّز أبو الفتح الإسكندريُّ وَلَدَهُ للتجارةِ أقعدهُ يوصيهِ؛ فقالَ- بعدما حمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله - : يا بني، إني وإن وَثِقْتُ بمتانةِ عقلِك، وطهارة أصلك، فإني شفيقٌ، والشَّفيقُ سيِّئُ الظَّن[128]، ولَسْتُ آمنُ عليك النفسَ وسُلطانَها، والشَّهوةَ وشَيْطانَها، فاستَعِنْ عليهما نَهَارَكَ بالصَّوم، ولَيْلَكَ بالنَّوم؛ إنه لَبوسٌ ظِهَارَتُهُ الجوعُ، وبِطَانتُه الهُجُوع[129]، وما لبسهما أسَدٌ إلا لانت سَورتُه[130]. أفَهِمْتَهُما يا بن الخبيثة؟!

وكما أخشى عليك ذاك فلا آمن عليك لِصَّيْن؛ أَحَدُهُما الكرم، واسمُ الآخر القَرَمُ[131]. فإيَّاك وإيَّاهُما؛ إن الكَرَمَ أسرعُ في المال من السُّوس، وإن القَرَم أشأمُ من البَسُوس[132]، ودعني من قولهم: إن الله كريم؛ إنها خدعةُ الصَّبيِّ عن اللبن[133]! بلى إن الله لكريمٌ، ولكنْ كَرمُ الله يزيدُنا ولا ينقصُهُ، وينفعُنا ولا يضرُّه، ومن كانت هذه حاله، فلتكْرُمْ خِصَالُه. فأما كرمٌ لا يزيدُك حتى ينقصني، ولا يريشُك حتى يَبْريني[134]، فخذلانٌ لا أقول: عبقريٌّ، ولكن بُقَريٌّ[135]. أفهمتها يا بن المشؤومة؟!

إنما التجارةُ، تنبِطُ الماءَ من الحِجارةِ[136]، وبين الأَكْلَةِ والأكلةِ ريحُ البحر[137] بيد أن لا خطرَ، والصين غيرَ أن لا سَفرَ، أفتتركهُ وهو مُعرِضٌ، ثم تطلُبهُ وهو مُعْوِزٌ[138]؟! أفهمتها لا أمَّ لك؟!

إنه المال عافاك الله، فلا تُنفِقَنَّ إلا من الربح، وعليك بالخُبزِ والمِلح، ولك في الخل والبصل رخصةٌ ما لم تُذِمَّهُما، ولم تجمع بينهما، واللحم لحمُكَ وما أراك تأكُلُه[139]، والحلو طعام من لا يبالي على أيِّ جنبيهِ يقع[140]، والوَجَبَاتُ عيشُ الصَّالحين[141]، والأكلُ على الجوعِ واقيةُ الفَوْتِ[142]، وعلى الشِّبعِ داعيةُ المَوْتِ. ثم كن مع الناس كلاعب الشِّطْرَنج؛ خذ كلَّ ما مَعَهُم، واحفظْ كل ما معك.

يا بنيَّ، قد أسمَعْتُ وأبلَغْتُ؛ فإن قبلتَ فالله حَسْبُكَ، وإن أبيْتَ فالله حسيبُكَ[143]. وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه أجمعين.



1. العماية: احتجاب البصيرة وغياب الرشد. ↑

2. السابغ من الثياب: التام يشمل البدن ويطوله إلى الأرض. ↑

3. انصاح الفجر والبرق: أضاء ولمع. أراد: ظهور بياض الشيب في نهاية سواد الشباب. ↑

4. أي: ضممت إليك أطرافه كي لا تعثر فيه؛ فتسقط دون مطلوبك، أو يعوقك عن الحركة. ↑

5. المَروضة: إما مهرة أو ناقة. ↑

6. يقول: إنني لم أر من رفيقي سوءاً يحملني على إنكاره. ↑

7. تجاليا: كشف كل لصاحبه عن حاله. ↑

8. سفرت القصة: ما حكاه الرفيق عن حاله. ↑

9. بقول وجه النهار: ظهوره. ↑

10. اغتمض جفن الليل: مجاز عن شدة ظلامه، وطرور شاربه: تصوير لإغساقه. ↑

11. المنتاب: فاعل من انتاب القوم: إذا أتاهم في نوبتهم، كأن القارع في مثل هذا الوقت أتى أبواباً كثيرة فلم تُفتح له، فانتهت نوبة القرع إلى باب المحدث. ↑

12. البريد: الرسول. ↑

13. الفل: المنهزم، والطريد: المطرود. ↑

14. وطئ أرضاً: دخلها أو مشى فيها. ↑

15. جارك: من يستجير بك. واستعدى على فلان: استنصر عليه بمن يأخذ له الحق منه. ↑

16. يقال: أبعد الله داره وأوقد النار أثره؛ أي: لا أرجعه من سفره؛ كأنه دعاء بجعل النار حائلة بينه وبين مرجعه. ↑

17. الحصيات: جمع حصية؛ تصغير حصاة. وكان من عاداتهم إذا فارقهم من لا يحبون رجعته أن ينبذوا الحصى خلفه. ↑

18. العَرْصة: أرض الدار. ↑

19. النِّضْو: المهزول من الإبل، والطليح: التّعِبُ المعيي. ↑

20. التبريح: الشدة وجهد المعيشة. ↑

21. المهامه: المفازات البعيدة. وفيح: أي واسعة، وهي واقعة بينه وبين فرخيه؛ أي: ولديه. ↑

22. العود: طيب مشهور يتبخر به. ↑

23. شدَّما: صيغة تعجب. ↑

24. أصفهان: مدينة من مدن إيران، والري كذلك. ↑

25. الفيّ: هو الفيء؛ أي: الظل، والظل لا يثبت. ↑

26. حُمَّ الأمر: قُضي. ↑

27. فاتحة الكتاب: هي سورة الحمد لله رب العالمين من القرآن، وليس فيها من الهمز والمد ما تظهر فيه رواية حمزة، ولكنه قصد أن الإمام رتلها، وأدى كل حرفٍ حقه، وبلغ بكل مدٍّ طبيعي حدّه. ↑

28. اللَّحيان: هما عظما الحنك، والأخدعان: عرقان في العنق، والمسلِّم يلتفت بالسلام إلى اليمين ثم إلى اليسار، وفي كلٍّ يميل بأخدعيه. ↑

29. الحبال السود: حبال الحديد؛ لميل لونه إلى السواد، وهي السلاسل. ↑

30. الخلوق: ضرب من الطيب يدخل في أجزائه الزعفران. والسُّكُّ: مادة سوداء يخلطونها بالمسك أحياناً. ↑

31. يظهر به أنه يبلغ رسالته عن رسول الله لا يبتغي على تبليغها أجراً؛ فتتأكد ثقة القوم بصدقه، فيعتقدون به اختصاصاً إلهياً، فيفيضون عليه من المنح والعطايا بقدر ما يستطيعون. ↑

32. الزّرق: مصدر زرق الصائد صيده: رماه بالمزراق وطعنه به؛ أي: من حذقه في رمي أغراض القلوب وإصابتها. والتمحل: طلب الشيء بالحيلة. ↑

33. فَرْوِزْ: مُتْ. ↑

34. الأزاذ: من أجود أنواع التمر، وبغداذ: هي بغداد. ↑

35. النقد: المسكوك من الذهب والفضة، وفي العادة أن من معه النقد يعقد عليه وعاءه من كيس ونحوه. ↑

36. المحالّ: جمع محل؛ أي: أمكنة الأزاذ. والكرخ: في الجانب الغربي من بغداد. ↑

37. السوداي: نسبة إلى سواد العراق. ويطرِّف الإزار: أي يرد أحد طرفيه على الآخر بما يعقد بينهما. الإزار: النِّطاق. ↑

38. الربيع: المرعى. وأراد من دمنته: أثره. ↑

39. البدار: المسارعة. والصدار: قميص صغير يلي الجسد، مدَّ يده إليه ليمزقه جزعاً على والد أبي عبيد. ↑

40. جُمْعُ الكف: قبضته. ↑

41. استفزَّته: استخفَّته. القرم: اشتداد الشهوة إلى أكل اللحم خاصة. واللقم: الأكل السريع. ↑

42. الجوذابات: جمع جوذابة؛ وهي خبز تخبزه في تنور، وقد علق فوق الخبز طائر أو لحم يشوى. ↑

43. اللوزينج: نوع من الحلواء. ↑

44. ليليَّ العُمْر: أي قد صُنع بالليل. يومي النشر: أي نشر من مصنعه بالنهار. ↑

45. يُشَعشع بالثلج: أي يمزج به. والصَّارة: العطش. ويفثأ: أي يسكن. وتسكين اللقم: كسر الحدة من حرارتها. ↑

46. مدينة السلام: مدينة بغداد. وقافلاً: أي راجعاً. ↑

47. أميس: من ماسَ: إذا تبختر. والرجلة: جمع رَجُل. ↑

48. الطرائف: جمع طريفة: الأمر المعجب المستحسن. والتقصي: المبالغة في طلب الوقوف على دقائق الشيء. ↑

49. أي: وقف بحيث يسمع صوت الرجل ولا يرى وجهه؛ لشدة ما يسرع الناس للوقوف عليه. ↑

50. المحرَّج: الكلب المقلَّد بالحِرْج؛ أي: الوَدَع، ولا يقلد ذلك حتى يكون معلَّماً، وهو إذا اشتد في الجري كان كل شده وثباً وقفزاً. ↑

51. الناس جلوس وليس بينهم فراغات يطؤها. ↑

52. الأين: الإعياء من التعب. ↑

53. المثل: (أشرقتُ فلاناً بريقه): إذا وقفتَ دون ما يريد من قول وفعل. لكنه يريد أن الخجل أجرى من لساني ريقاً غزيراً؛ حتى أغصّني به لكثرته. ↑

54. الدهش: الذهول. ↑

55. الحشاشة: بقية النفس. ↑

56. استفهام عن مكانهم بالنسبة إلى الحيلة؛ يبعدون عنها أو يقربون منها؟ . ↑

57. النوادب: جمع نادبة؛ وهي التي تعدد أوصاف الميت عند البكاء عليه. واحتفلت: أي امتلأت. ↑

58. الجزع: أشد الحزن لا يستطيع المصاب كتمانه، فشبهه بالنار وأسند له فعل الكي؛ لأن أثره في القلب ليس بأقل من أثر النار إذا كُوي بها الجسم. والفجيعة: الرزية. وجيب القميص: مدخل الرأس منه. ومن عادة المفجوعين أن يمسكوا بجوانب جيب القميص، ثم يحملون عليه فيشقونه؛ إظهاراً لشدة الحزن، أو اضطراراً بتغلبها على العقل. ↑

59. وجددن: أي قطعن عقودهن؛ أي: قلائدهن. ↑

60. أراد من السواد: كثرة الناس. ↑

61. العصابة: ما يشد من تحت ذقن الميت. ↑

62. عرق الحلق: الشريان الآخذ من تحته في العنق؛ فإن له نبضاً كنبض شريان اليد، يمكن أن يُستدل منه على الموت والحياة، بل هو في نظر العوام أدل. ↑

63. العمائم: جمع عمامة: ما يلف على الرأس في هيئة معروفة، والتمائم: جمع تميمة؛ وهي ما يعلق من أوراق وتعاويذ؛ ليظهر أثرها فيمن علّقت عليه. ↑

64. أي: إذا تحرك حركة بعد سريان الحياة فيه، فلا تردعوه ولا تكفوه عنها. ↑

65. نُشر الميت: بُعث حيًّا بعد موته. ↑

66. المبارّ: جمع مبرة أراد منها الصلات والمواهب. ↑

67. التبر: الذهب غير المسكوك، والرحل هنا: الوعاء كالعدل والجراب. والأقط: اللبن الحامض يملح ويجفف. ↑

68. أي وعدهما بحياة الميت بعد يومين، ركزاً؛ أي: صوتاً بأنين ونحوه؟ . ↑

69. حدرها: نحاها عن يده بعدما كانت معلقة عليها. ↑

70. راسياً: أي ثابتاً لا حراك به. ↑

71. طن بفيه: أي صوّت به. ↑

72. الجُفُّ: العدد الكثير من الناس. والأكف: جمع كف. وملكته: أحاطت به. ↑

73. شفير الوادي: أعلى جرفه. ↑

74. غمض الليل: أي لا يستولي الغمض على أجفانهم. ↑

75. معرة الماء: مساءته وأذاه. ↑

76. أي: لا يملَّكم الضجر من طول القيام فتكبوا على وجوهكم. والهفو: مصدر هفا: إذا أسرع. ↑

77. هجد: أي نام. ↑

78. أومأ إلي: أشار. وأخذنا الوادي: أي سرنا على امتداده. ↑

79. باب الأبواب: ثغر من ثغور بحر الخزَر، في الشمال الغربي من بلاد فارس. ↑

80. دونه: أي دون الإياب. والغارب: أعلى الموج. ↑

81. والعساف: الذي يبالغ في الاعتساف؛ وهو السير على غير طريق. ↑

82. تحوذ: من حاذ الدابة: ساقها سوقاً سريعاً؛ أي أن هذه السحابة تسوق إلينا جبالاً من السحاب، وكثيراً ما تظهر السحب للعين كأنها شامخة. ↑

83. الأفواج: الجماعات. ↑

84. الحَيْن: الهلاك. ↑

85. نابغية: نسبة إلى النابغة، وليلته: المشار إليها بقوله:

كِليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ ↑

86. أي: لا يندى جفنه بالدموع. ↑

87. أصل الحرز: ما يحفظ به الأشياء من صندوق ونحوه، ثم استعمل في كل ما يمنع من ضياع وتلف. ↑

88. آبت: رجعت. والديباج: الحرير. والعاج: سن الفيل. ↑

89. حذف كل واحد منا بواحدة: أي رمى كلًّا منا برقعة من تلك الرقاع. والرقاع: هي الأوراق المكتوبة أحرازاً. ↑

90. اقتضاهم: طلب منهم أن يؤدوا إليه الدينار. ↑

91. أي: متآلفون، منتظمون. ↑

92. اللثغة: عجز اللسان عن النطق بالسين فيحولها إلى ثاء، أو عن الراء فيحولها إلى غين أو لام. والفلج: تباعد ما بين الأسنان، وهو مما تصاحبه اللثغة غالباً. ↑

93. الثلمة: هي الفرجة في المهدوم من أثر الهدم. ↑

94. الخوان: ما يوضع عليه الطعام. والبقل: يريد به ما يستصحب مع الطعام؛ كالجرجير والبقدونس. والقطيف: المقطوف، خل ثقيف؛ أي: شديد الحموضة. ↑

95. اللون: نوع من التمر. ↑

96. علَّه يعلُّه: إذا سقاه تباعاً؛ أي: يتابع عليك السقي بأقداح. ↑

97. الأوساط: مجالس أنس قد احتفلت بأهلها؛ حتى حشيت أوساطها. وأنقال: جمع نَقْل، وهو ما ينتقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما. والأنوار المجودة: التي قد أجيد إسراجها. ↑

98. الراح: الخمر. وقُطْرُبُّل: نسبة إلى قطربل: القرية من قرى العراق يستجاد خمرها. ↑

99. الجرار: شديد الجرية. والحوض الثرثار: الذي قد أخذت إليه شعبة من النهر غزيرة الماء تصب فيه من جانب، وقد فتح للماء مصرف منه في جانب آخر؛ فهو على الدوام يسمع فيه صوت الماء. ↑

100. يأكل الغذاء الأول، ثم يحضر المجلس الثاني، ثم إذا دخل به الشراب والطرب وانهضم غذاؤه عاد إلى الثالث، ثم نام. ↑

101. اللهاة: هي منفتح الحلق من أقصى اللسان. ↑

102. الفلاة: الصحراء. وأطفالها: الذين لا يعرفون لهم مأوى سواها، ولا معيشة لهم إلا بالتلصص واستلاب السابلة. ↑

103. أناخوهم: أي أناخوا أبلهم بأرض نعامة؛ أي: مفازة. ↑

104. القد: السير من الجلد يقيد به الأسير؛ أي أن اللصوص ربطوهم في السير فرقاً وطوائف. ↑

105. أردف الليل أذنابه: استتبعها. وأطناب النجم: خيوط الأشعة المنبعثة منه إلى الأرض. ↑

106. انتحوا: قصدوا. عجز الفلاة: أي مؤخرها. وأخذنا صدرها: أي سلكنا فيه. وصدرها: ما قرب من أولها. ↑

107. الأشعار: جمع شعَر. والأبشار: جمع بشر: جمع بَشَرة. ↑

108. النجب: لحاء الشجر أو عروقها، وهؤلاء كأنهم بسيرهم يقطعون قشر الفلاة؛ كلما تركوا مسافة فكأنهم قطعوها. ↑

109. الصغار: الذل والضيم. والأطمار: الثياب البالية. ↑

110. أبو جابر: هو الخبز. وذات اللظى: النار. والغضى: شجر إذا أوقدت به النار اشتد لهبها وسجر التنور: ملأه بالحطب للوقود. ↑

111. فرع سنامه: صعد إلى أعلى التنور. ↑

112. يأخذ من الملح ويرمي في نافذة التنور من تحت ثيابه؛ فيكون للملح فرقعة في النار، فيتوّهم في ثيابه أذى من القمل ونحوه، وأنه يرميه في التنور. ↑

113. الأدم: ما يؤتدم به، أي: يؤكل مع الخبز ليسهل استساغته. ↑

114. يقال لما ذهب ضياعاً بدون استفادة أحد منه أنه ذهب للشيطان. ↑

115. الغضارة: القصعة الواسعة. ↑

116. مدينة من مدن إيران. ↑

117. الدنية: قلنسوة القاضي، وتحنك: أدار العمامة من تحت حنكه. وسنية: نسبة إلى السنة؛ أي: اعتم بعمامة أهل السنة. ↑

118. الطيلسان: نوع من الكساء يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء، يوضع على الرأس، ويسبل على القفا إلى ما بين الكتفين. وتسويته: وضعه كما ينبغي أن يوضع. ↑

119. السبال جمع سبلة؛ وهو ما على الشوارب من الشعر، وتقصيره من عادات المتورعين. وإطالة الحبال: ليوقع فيها من يريد صيده لاستلاب ماله من الناس. ↑

120. الشقاشق: جمع شِقْشِقة، ثم قيل في اللسان الذرب: شقشقة، وقيل للكلام المتدفق عن غزارة معنى في المتكلم: هدرت شقشقته. ↑

121. بخ بخ: كلمة تقال عند استعظام أمر فيما يحمد ويستحسن. والأُكُل: الحظ والنصيب. وأُكُل العمل الصالح: هو الثواب والجزاء الحسن عند الله تعالى. وقوله: ولما تطبخ؛ يريد منه: قبل أن تتم. ↑

122. مصعد إلى الشمال الشرقي، وعيسى بن هشام مصوب يهبط إلى الجنوب الغربي، وإنما كان ذلك مع أن الحق في العكس؛ لأن الطريق من نيسابور إلى خرسان يرتفع في جبال، ومنها إلى نواحي العراق يهبط إلى السهول. فتعجب عيسى من جوابه وقال: كيف تصعد إلى الكعبة مع أنك تكون مدبراً عنها؟! ↑

123. بيت سبْي؛ أي: تساق إليه السبايا التي يغنمها جيشه في حروبه. ↑

124. منى الخيف: بلدة قرب مكة، ينزل إليها الحاج صباح يوم عيد الأضحى. ↑

125. الأزلام: أقداح كانت تستقسم بها العرب في الجاهلية. ↑

126. كنى بافتراش المدر- وهو الطين اليابس- وما بعده عن خشونة العيش في طلب العلم. ↑

127. والمراد من رد الضجر: دفعه عن النفس بالمصابرة على العمل. ↑

128. لأن الشفقة تخيّل له وقوعَ ما يُحذر منه بمن يُشفق عليه، وإن لم يكن لذلك التخيل منشأ ينتزع منه. ↑

129. لبوس: أي ثوب معنوي تلبسه روحك. ↑

130. السورة: الشدة. ↑

131. القَرَم: اشتداد الشهوة إلى اللحم. ↑

132. البسوس: هي بنت منقذ التميمية، خالة جساس بن مرة البكري، كانت جارة لجساسٍ، فرعت ناقتها في حمى كليب بن وائل التغلبي، فرماها بسهم، فاستصرخت البسوس جساساً، فهم

بكليب فقتله، فقام المهلهل أخو كليب- لأنه رئيس تغلب- وطلب بكر بن وائل بثأر كليب، فاتقدت الحرب بينهم أربعين سنة، فضرب المثل بالبسوس في الشؤم. ↑

133. أي: لا تذكر لي ذلك الدليل الذي يستدلون به على أن البذل لا يضيع المال، وهو قولهم: إن الله كريم؛ فهو يفيض من كرمه على عباده إذا أنفقوا من مالهم؛ فإن هذا الدليل منزلته من عقل العاقل منزلة خدعة الصبي التي يلهونه بها عن طلب اللبن. ↑

134. راش السهم يريشه: ألزق عليه الريش. وبراه يبريه: نحته. فالكرم لا يزيد الآخذ حتى ينقص من المعطي. ↑

135. الخذلان: الخيبة والخسار. والعبقري: وصف لما يعجب حاله في جودة صنعته أو قوته أو حذقه، فهذا الخذلان لا يوصف بهذا الوصف الجيد، ولكنه يوصف بالبُقَري منسوب إلى البقر بهذا الشكل؛ أي: الداهية المهلكة، أو بالفتحتين نسبة إلى جوع البقر؛ وهو أن يأكل ولا يشبع. ↑

136. تنبط الماء: تستخرجه، وإنباط الماء من الحجارة: مثلٌ في الإتيان بالشيء من حيث لا يُرجى. ↑

137. إن ريح البحر إذا هبت على راكبي السفن أشغلتهم عن كل شيء؛ حتى قد تذهلهم عن أنفسهم خوفاً من خطر الغرق. ↑

138. يقول: إن كان المال مطلوب التاجر بأعماله الشاقة، فأولى له أن يمسكه متى ظفر به، ومن الحمق أن يفرط فيه إذا وجد، ثم يطلبه إذا فقد. ↑

139. أي: ليس في الأشياء ما يسمى باللحم إلا لحمك؛ مبالغة في تزهيده فيه. ↑

140. لا يأكل الحلو إلا شخص مخاطر بنفسه، يعلم أنه مصروع ساقط لا محالة. ↑

141. الوجبات: جمع وَجْبة؛ وهي الأكلة في اليوم والليلة؛ تأكلها الساعة، ثم لا تأكل مثلها إلا في مثل هذه الساعة من غد. والصالحون يقللون من الأكل شظفاً لأنفسهم، وترويضاً لقواهم. ↑

142. الفوت هنا: الإعواز. أي: إذا لم تأكل إلا على الجوع فقد وقيت الإسراف الذي يفضي إلى الإعواز، والأكل على الشبع قد يحدث البِطنة التي تفضي إلى الموت. ↑

143. حسبك: كافيك. وحسيبك: محاسبك. ↑

Table of Contents